

المبهمات في القرآن الكريم

بحث في علوم القرآن

إعداد/ أحمد محمد عيسى

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

tamimi@mediu.edu.my

خلاصة— هذا البحث يبحث في المبهمات في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: المبهمات، القرآن الكريم.

المقدمة

المبهمات: الشيء الغامض الذي لا يعرف له وجبة قال ابن السكيت: "أبهم علي الأمر: إذا لم يجعل له وجهًا، وإبهام الأمر: أن يشتبه الأمر فلا يعرف وجهه."

موضوع المقالة

أ- معنى المبهمات، وذكر بعض من كتب في ذلك.

المبهمات: الشيء الغامض الذي لا يعرف له وجبة قال ابن السكيت: "أبهم علي الأمر: إذا لم يجعل له وجهًا، وإبهام الأمر: أن يشتبه الأمر فلا يعرف وجهه."

وقد صنّف في المبهمات أبو القاسم السهيلي رحمه الله تبارك وتعالى، وكتابه بعنوان "التعريف والإعلام"، وتلاه تلميذه ابن عساكر رحمه الله تبارك وتعالى، فألف أيضًا في المبهمات سماه "التكميل والإتمام"، وأيضًا صنّف بعض أهل العلم عن المبهمات التي في علوم الحديث. وكان في الحقيقة في السلف من يعنى بالمبهمات. قال عكرمة: "طلبت الذي خرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله، ثم إدركه الموت أربع عشرة سنة."

ولكني أود هنا وأنا أعرف المبهمات، وأذكر ما ألف فيها أن أشير إلى أمر مهم، وهو أنه لا يجوز لنا أن نبحث عن الأشياء التي أخبر الله - عز وجل - بأنه استأثرها بعلمه سبحانه، فطالما أن الله - عز وجل - لم يعلمنا بشيء فيجب علينا أن نسكت عنه.

وضرب أهل العلم لذلك مثالًا بقول الحق تبارك وتعالى: {وَأَخْرَيْنَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ لَنْ نَعْلَمَ وَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا} [الأنفال: ٦٠]. هكذا قال الله - عز وجل - بأنه هو الذي يعلم هؤلاء، فكيف ندعي نحن أننا نعلمهم؟!

ولقد قال الزركشي رحمه الله - في كتاب "البرهان" متعجبًا قال: "والعجب ممن تجرأ وقال: قيل: إنهم قريظة، وقيل: من الجن."

وحق له أن يعجب؛ لأن الله - عز وجل - نص صراحةً في كتابه أنه هو الذي يعلم هؤلاء، فكيف نزع لنا بهم علم بعد ذلك؟!

(ب) أسباب المبهمات مع التمثيل.

الأمور الغامضة المبهمة الواردة في القرآن الكريم لها أسباب، فأذكر هنا هذه الأسباب، وأذكر مثالًا لكل سبب:

السبب الأول: أن يكون أبهم في موضع؛ استغناءً ببيانه في آخر، في سياق الآية، وذلك كقوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: ٤] بيّنه بقوله سبحانه وتعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ} [الانفطار: ١٧].

وما جاء في قوله أيضًا: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: ٧] بينه بقوله تعالى في سياق آخر: أن هؤلاء الذي أنعم الله عليهم هم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَايِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠] المراد هنا بالخليفة آدم، والسبب قد بينه.

وأيضًا قال الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩] المراد بهم المهاجرون؛ لقوله تعالى في سورة الحشر: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ} [الحشر: ٨]. وقد احتج بها الصديق على الانتصار يوم السقيفة، فقال: "نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا"، أي: تبعنا لنا، وإنما استحقها دونهم؛ لأنه الصديق الأكبر رضي الله عنه.

وقد قال الله تعالى في كتابه: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً} [المؤمنون: ٥٠] يعني: مريم وعيسى، قال: {ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ}؛ فابن مريم هو عيسى، وأمّه هي مريم عليها السلام.

وقال: {آيَةٌ}، ولم يقل آيتين، وهما آيتان؛ لأنها قضية واحدة، وهي ولادتها له من غير ذكر.

السبب الثاني في الإبهام أن يتعين لاشتهاره، كقوله تعالى: {اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة: ٣٥] ولم يقل حواء؛ لأنه ليس غيرها، فهذا أمر مشهور ومعروف؛ ولذلك أبهم القرآن الكريم ذكره.

وقول الله تعالى: {وَأَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} [البقرة: ٢٥٨] المراد بالذي حاج إبراهيم هو النمرود؛ لأن إبراهيم مرسل إليه، وقد أبهمه القرآن هنا؛ لأنه معروف مشهور؛ لأنه معروف لدى الناس أن إبراهيم - عليه السلام - أرسل إلى هذا الرجل.

ومنه قول الحق تبارك وتعالى: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ} [يوسف: ٢٠] المراد بالذي اشتراه من مصر هو العزيز، وأبهم ذكره هنا؛ لأنه معروف مشهور.

ومنه قول الحق تبارك وتعالى: {وَأَتَتْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ} [المائدة: ٢٧] والمراد: قابيل وهابيل، وهما اللذان قاما بفعل ما فعلاه، مما ذكره القرآن الكريم عنهما.

وقد قال أهل العلم: وحيثما جاء في القرآن "أساطير الأولين" فقاتلها النضر بن الحارث بن كلفة، وإنما كان يقولها؛ لأنه دخل بلاد فارس وتعلم الأخبار ثم جاء، وكان يقول: أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم محمد، وإنما يحدثكم أساطير الأولين، وفيه نزل: {وَمَنْ قَالَ سَأْتَلُكُمْ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام: ٩٣] وقتله النبي صلى الله عليه وآله وسلم - صبرًا يوم بدر.

السبب الثالث من أسباب الإبهام في القرآن الكريم: قصد الستر عليه، ليكون أبلغ في استعطافه، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم - إذا بلغه عن قوم شيء، خطب، فقال: «ما بال رجال قالوا كذا» وهو غالب ما في القرآن الكريم، كقوله تعالى: {أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَيْنًا نَبِيًّا مُنْهُمْ} [البقرة: ١٠٠] قيل: هو مالك بن الصيف، وهنا القرآن الكريم أبهمه؛ قصدًا ليوثر عليه، ولكي يدفعه إلى أن يدخل في الدين الذي بعث به النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

ومثل ذلك: ما جاء في قول الله تبارك وتعالى: {أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ نَسْأَلَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} [البقرة: ١٠٨] والمراد: هو رافع بن حريملة وهوب بن زيد.

وهكذا نجد أن القرآن الكريم يبهم أحيانًا ذكر بعض الأشياء، ومن ذلك ذكر بعض الأسماء؛ لأنه لا مصلحة فيه أولًا؛ فقد ستر رب العالمين سبحانه وتعالى - عليها حتى لا يفتضح أمر هؤلاء الناس، ويكون في هذا استعطاف لهم؛ كي يرجعوا إلى الله تبارك وتعالى.

السبب الرابع من أسباب أو دواعي الإبهام في القرآن الكريم: ألا يكون في تعيينه كثير فائدة، كقوله تعالى: {أَوْ كَلِمَاتٍ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ} [البقرة: ٢٥٩] والمراد بها: بيت المقدس.

وكقوله تعالى: {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ} [الأعراف: ١٦٣] والمراد: أيلة، وقيل: طبرية. ومنه قول الحق تبارك وتعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ} [يونس: ٩٨] والمراد بها: قرية نينوى. ومنه قول الحق تبارك وتعالى: {أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ} [الكهف: ٧٧] قيل: برقة.

فإن قيل: ما الفائدة في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزْرُ؟} [الأنعام: ٧٤] لأنه هنا ذكر اسم أزر، قيل: أزر هذا اسم صنم، وفي الكلام حذف، والمعنى: وإذ قال إبراهيم لأبيه: "دع أزر"، وقيل: هي كلمة زجر، وقيل: بل هو اسم أبيه؛ وعلى هذا فالفائدة أن الأب يطلق على الجد، فقال: أزر؛ لرفع المجاز؛ لأن القرآن قال: {لأبيه} ثم ذكر أزر.

وهنا أود أن أتنبه إلى تنبيه مهم، وهو: أن القرآن الكريم إذا لم يعين شيئًا؛ فلا علينا إذا أن نسعى في البحث عنه؛ لأن القرآن الكريم كثيرًا ما يطوي ذكر الأسماء والأمكنة، وغير ذلك؛ لعدم كبير فائدة في ذكرها؛ لأن العبرة مثلًا في قصص القرآن الكريم حينما يذكره رب العالمين سبحانه وتعالى جل في علاه - أن يتعظ الإنسان، وأن يعتبر بالمواقف الحاصلة، أو الناتجة عن هذا القصص، أما الأشخاص فلا فائدة من ذكرهم، وبالتالي إذا أبهم القرآن الكريم شيئًا من ذلك فعليًا لا نبحث عنه.

ولذلك يجب أن نتنبه لهذا السبب الرابع من أسباب الإبهام، ألا وهو: ألا يكون في تعيينه كثير فائدة، فالشيء إذا لم يكن للتصريح باسمه فائدة، ولا شيء يعود بنفع في ذلك فلا داعي للبحث عنه.

السبب الخامس من أسباب الإبهام في القرآن الكريم: التنبيه على التعميم، وهو غير خاص بخلاف ما لو عين، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠] قال عكرمة: "أقمت أربع عشر سنة، أسأل عنه حتى عرفته هو ضمرة بن العيص، وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضاً، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها، فمات بالتعميم."

فإنه تبارك وتعالى أراد ألا يقصر هذه الآية على هذا الرجل؛ لأنها غير خاصة به، وبالتالي قصد بها التعميم، ومن هنا لما كان المراد من ورائها التعميم، أو التنبيه على التعميم، لم يذكر أو لم يصرح باسم الرجل.

ومثله ما جاء في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] قيل: نزلت في علي رضي الله عنه. كان معه أربع دوايق، فصدق بواحد بالليل وآخر بالليل، وآخر سراً وآخر علانية.

وجاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] قيل: نزلت في عدي بن حاتم، كان له كلاب خمسة، قد سماها بأسماء أعلام. وهذه كلها أمثلة، على أن المراد من هذه الآيات عندما أبهم ذكر الفاعل فيها مثلاً، أريد بها التعميم؛ حتى يستفيد الناس من هذا الكلام.

السبب السادس من أسباب الإبهام في القرآن الكريم: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ﴾ [النور: ٢٢] والمراد به الصديق رضي الله عنه، فإنه عز وجل- أراد أن يعظمه بهذه الصفات التي ذكرها فيه، وهي قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ﴾ فلم يذكره باسمه، وإنما ذكره بصفات فيه؛ تعظيماً له.

ومثله: ما جاء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني: أبا بكر رضي الله عنه، ويدخل في هذه الآية كل مصدق للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والدليل على ذلك أن الله تبارك وتعالى- قال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

السبب السابع والأخير من أسباب الإبهام في القرآن الكريم: تحقيره بالوصف الناقص، يعني: القرآن الكريم يريد أن يحقر هذا الشخص، فلا يذكره باسمه، وإنما يذكره بوصف ناقص فيه من باب الإهانة والتحقير، وهذا كقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ [النساء: ٥٦].

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، والمراد بهذا: العاص بن وائل، ولكن القرآن الكريم لم يصرح باسمه، وإنما أبهمه وذكره بوصف ناقص من باب التحقير لشأنه. ومثل ما أقوله هنا، أقوله في الآيات السابقة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ [النساء: ٥٦]، ذكرهم الله عز وجل- بوصف الكفر، ومثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، والمراد بهذا الفاسق الوليد بن عقبة بن أبي معيط، والقرآن الكريم أبهم اسمه، وذكر وصفاً فيه من التحقير الشديد ما فيه.

وأما ذكر أبي لهب والنصريح باسمه في قوله تعالى هنا: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] فذكره الله عز وجل- للتنبيه على أن مآله للنار ذات اللهب، يعني: أنه سينال من اللهب، واسمه فيه من اللهب أيضاً ما فيه، فذكر هذا الاسم مصرحاً به هنا لفائدة أخرى.

المراجع والمصادر

١- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري، المتوفي سنة ٨٣٣هـ، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة، حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل، علي محمد الضباع، شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية.

٢- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار ابن حزم، سنة النشر: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٣- ابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي)، أحكام القرآن لابن العربي، دار الكتب العلمية، سنة النشر: - رقم الطبعة: ط ١ : د.ت.

٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المعروف بتفسير ابن كثير، دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٥- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة سنة النشر: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٦- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان = تفسير السعدي (ط. دار السلام)، بتحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مكتبة دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٨- السيوطي، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن الكمال بن محمد الخضير السيوطي، الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، سنة النشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٩- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار السلام، سنة النشر: ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

١٠- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر سنة النشر: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

١١- القطان، دكتور مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة وهبة، رقم الطبعة: ١١، تاريخ الطبعة: ٢٠٠٠

١٢- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، دار الفكر، سنة النشر: ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

١٣- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.